

رَأْيَاتُنَا
كِرِيْسِيْتِي

عِيْنَةٌ مِّنَ الرِّوَايَةِ
(لِلتَّصْفِيْحِ وَالْإِطْلَاعِ)

السُّتَارَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أبحاثنا كريستى

السُّتَارَة قضيّة بُوَارو الأَخِيرَة

طُبعت للمرة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٧٥

ترجمة: رنا عرفات

مراجعة الترجمة: حفطي الناجي

تحرير: رمزي رامز حسّون



للترجمة
والنشر
الأجيال

AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لرواية أغاثا كريستي
المنشورة أول مرة عام ١٩٧٥ بعنوان

Curtain: Poirot's Last Case

Copyright © Agatha Christie Ltd 1975

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL Publishers
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الرابعة

٢٠٢٠

مقدّمة الناشر

لماذا هذه الطبعة؟

عندما أعلنّا -في مؤسسة الأجيال للترجمة والنشر- عن عزمنا على تقديم ترجمة جديدة لأعمال الروائية الفدّة، أغاثا كريستي، تساءل كثيرون باستغراب: لماذا تُجهدون أنفسكم وتتكلفون كثيراً من الجهد والعناء وكثيراً من المال لإعادة ترجمة هذه الروايات التي تُرجمت إلى اللغة العربية من قديم وتداولها الناس لعشرات السنين؟

ولكن الحقيقة (التي ربما بدت غريبة) أن الترجمة القديمة ذاتها هي الجواب عن هذا السؤال، إذ إن فيها من الأخطاء والنقائص ما لا يصلح معه الحال أو يستقيم بغير إعادة الترجمة وإعداد طبعة جديدة. وأول تلك النقائص (وإن بدت غير ذات أهمية للقارئ العربي ظاهراً) أن أياً من الترجمات القديمة لم تكن «شرعية» بالمعنى القانوني، أي أن الذين نفّذوها ونشروها لم يحصلوا على الإذن بطباعتها ولم يدفعوا شيئاً مقابل حقوق النشر، ومن ثمّ لم يهتموا بتجويدها أو إتقانها بقدر ما اهتموا بالربح العاجل والكسب السريع.

من هنا جاءت تلك الطبعات القديمة حافلة بالعيوب، حتى لا يكاد يصحُّ لمن قرأها أن يقول إنه -فعالاً- قرأ شيئاً من كتابات أغاثا كريستي. وإليكم جملة من تلك العيوب:

(١) في الترجمة نقص واسع وحذف كثير، يكاد يذهب -في بعض الأحيان- بثلاث النص الأصلي. وما ندري ما الذي حمل المترجمين الأوائل على اقتراح هذا الخطأ المتعمد: أهو لتقليص حجم الروايات وتوفير نفقات الطباعة على الناشر، أم لتيسير القراءة على القارئ حتى لا يَمَلَّ من قراءة رواية طويلة؟ ولكنَّ مَنْ قال إن قراءة ما حُذف يبعث على الملل؟ الحقيقة أن ما وقع من حذف وتقليص واختصار قد أربك القارئ إذ غيَّب عنه بعض التفاصيل المهمة، كما فوّت عليه الاستمتاع بكثير من «اللمسات الساحرة» من الأدب الفذِّ لأغاثا كريستي.

(٢) في الترجمات القديمة أخطاء كثيرة لأنها -بجملتها- نتاج عمل فردي متسرع هدفه الربح العاجل كما أسلفنا، وهذه الأخطاء (وكثيرٌ منها ساذج مضحك) أفسدت استمتاع القارئ بمتابعة القصة وكانت -أحياناً- عقبةً في طريق فهمه لحبكة الأحداث وعقدة الرواية.

(٣) فضلاً عن أخطاء الترجمة، حفلت تلك الطبعات القديمة بما لا يكاد يُحصى من الأخطاء النحوية واللغوية والإملائية وجاءت على غير نسقٍ في طبيعة ترجمتها وأسلوب كتابتها، حتى لتجد أن اسمي بطلي أغاثا الشهيرين، هيركيول بوارو والكابتن هيسْتِنغز، قد كُتبا بأشكال متنوعة وصور متباينة خلال الروايات،

وكانهما مجموعة من الأشخاص المختلفين!

(٤) أما الطباعة فمأساة لا تقل حجماً عن مأساة الترجمة وتكاد تنافسها في السوء والرداءة! امتلأت الروايات بالأخطاء المطبعية التي لم يحفل بتصحيحها أحد، وصُفّت أسوأ صف ثم طُبعت على أسوأ ورق. وما زال أولئك «الناشرون...» يَصوِّرون طبعة عن طبعة حتى صارت مقاطع كاملة منها مطموسةً مستعصيةً على القراءة لا تكاد تبين حروفها وألفاظها.

(٥) ثم اجتهد «الناشرون...» فوضعوا لهذه الروايات أغلفة يظنّ معها من يراها أنها ليست سوى قصص فاضحة ماجنة، فكان أن أعرض عنها كثير من الناس الذين ظنوا أن صور أغلفتها تعبّر عن محتواها، وزهد في هذا الأدب الرفيع كثيرٌ من المتأدبين.

(٦) وأباح هؤلاء «المترجمون...» لأنفسهم أن يتدخلوا في عناوين الروايات وتبويبها وترتيبها، فمسخوا العناوين الأصلية واستبدلوا بها ما ظنّوه أكثر إثارة أو أدعى لجذب القراء. واعتدوا على تبويب الروايات فأدخلوا بعض فصولها في بعض، وعلى ترتيب مجموعات القصص القصيرة فبعثوا ما كان منتظماً وشتتوا ما كان مجتمعاً. كل ذلك بغير سبب واضح ولا تعليل مفهوم.

(٧) وأخيراً، كان العدوان الأكبر على أغاثة كريستي بأن نحلوا لها ما ليس -أصلاً- من كتابتها. وذلك أن الناشرين لما رأوا إقبال الناس على ما حمل اسمها قد طمعوا في مزيد من البيع ومزيد من الربح، فجاؤوا بروايات لا يُعرَف مؤلفوها فألحقوها بها ونسبوا إليها، حتى بلغ ما نُشر في السوق باسمها مئة وبضع

عشرة رواية، رغم أن كل ما كتبته من روايات بوليسية (وهي لها كتابات أخرى لم تُترجم بعدُ إلى العربية، كما سيأتي في ترجمتها الموجزة) ليست سوى ثمانين رواية لا غير!

* * *

فما الذي فعلناه نحن؟

اتصلنا بأصحاب الحقوق (ورثة المؤلف) ففقدنا معهم اتفاقاً ووقعنا عقداً ينصّ على الحقّ الحصري لنا بالطبعة العربية عبر العالم، ودفعنا مبلغاً كبيراً من المال مقابل هذا الاتفاق. بعد ذلك بدأنا بمشوار الترجمة الطويل الذي استغرق أكثر من عشر سنوات من العمل الشاق الدؤوب، المتعب والممتع في آنٍ معاً، ونفدنا العمل بالأسلوب التالي:

(١) الترجمة على مرحلتين: يُترجم العمل -أولاً- بالكامل، ثم يُراجع مراجعة كاملة شاملة وكأنه ترجمة جديدة يقوم بها مترجم آخر. وكلا العاملين تولاه مترجمون محترفون أصحاب خبرة وكفاية ودراية واسعة باللغتين، العربية والإنكليزية.

(٢) التحرير: وفي هذه المرحلة أُخضعت الترجمات لمراجعة كاملة دقيقة لكل نص مترجم؛ أسلوبياً ولغوياً ونحوياً وإملائياً، مع العناية بالتفكير والترقيم (وضع العلامات من نقطة وفاصلة وسواهما). وتولّى هذا العملَ واحدٌ من أفضل المختصين في هذا المجال.

(٣) الصفّ والإخراج: وقد نُفِّذَ هذا العمل لدى أفضل

مراكز الصف، وبُذِل في الإخراج من الجهد غايته ليأتي على أفضل شكل ممكن. وكان أن وقع الاختيار على قَطْع الكتاب بالشكل الذي يجده القارئ بين يديه بعد استقراء لميول كثير من القراء وُجد فيه أن الغالبية منهم يفضلون -للروايات- هذا الحجم مقابل الحجم الكبير للكتب العلمية وكتب التراث.

(٤) ثم كانت المراجعةُ بعد المراجعةُ للنص النهائي المصنوف للتأكد من سلامته من أي خطأ أو سهو. كل ذلك ابتغاء الوصول إلى غاية الاتقان والحصول على أفضل عمل ممكن يطيقه الجهد البشري.

* * *

نعم، نحن لم نحقق كتباً عظيمة من كتب العلم ولم نترجم أعظم روائع الأدب العالمي، ولكن المرء مطالبٌ -إذا عمل- بأن يتقن عمله؛ تلك واحدة من وصايا الشرع. ثم إن في أدب أغانا كريستي من الجمال والرقِي ما يستحق السعي إلى مثله -إذ يُترجم- في النص المُعرَّب.

وأخيراً، فإن القارئ العربي الذي سيدفع قيمة هذه الكتب مالاً من جيبه ثم يصرف لقراءتها ساعات من وقته جديراً بالحصول على الأفضل. وهذا هو بالذات ما سعيْنَا إليه في نهاية المطاف. فهل وُفِّقْنَا؟ نرجو أن نكون، وأنت -عزيزنا القارئ- خيرُ حَكَم.

الأجيال

منهجنا في التحرير

أردنا لهذه الطبعة أن تخرج متميزةً في سلامة لغتها وصحة صياغتها وقوة أسلوبها، فبذلنا في تحريرها غاية الجهد وأقصى الاهتمام، واضطررنا -في سبيل ذلك- إلى مراجعة المادة المترجمة مرةً بعد مرة، غيرَ عابئين بما نصرفه من وقت أو نبذله من طاقة، حتى وصلنا إلى ما نحسبه عملاً مقبولاً يرضى عنه القارئ ويُرضينا نحن عن أنفسنا.

وقد أحببنا أن نضع بين يدي القارئ هذه الملاحظات حول الأسلوب الذي اتبعناه في المراجعة والتحرير:

ففي اللغة: نَهَجْنَا اعْتِمَادَ الفصاحة بلا تكلّف، فاعتمدنا من الألفاظ الدائرة على ألسنة الناس ما وافق العربية، وتجنبنا كل لفظ غريب. وفي هذا المقام كرّسنا ما اعتمده مجمع اللغة العربية ووافق عليه مما ورد في معجمه «الوسيط»، مثل «السَّلْطَة» و«الكُشْكُ»، ومثل قولهم: «سَرَّحَ العامل» (بمعنى أخلاه وصرفه من عمله) و«أشَرَ على الكتاب» (أي وضع عليه إشارة برأيه)، ومثل هذا كثير.

وقد تنبّهنا إلى بعض المفردات مما يُخَلَطُ فيه بين المذكور

والمؤنث والمفرد والجمع، «فالمستشفى» مذكّر يُؤنّث خطأً، و«الحماس» بالتذكير لفظ غير موجود في اللغة، بل هي «الحماسة» بالتأنيث، والرأس مذكّر لا يجوز تأنيثه (كما يشيع في الكتابات المصرية خاصة).

وكذلك تنبّهنا إلى بعض ما درج على الألسنة والأفلام من مفردات غير صحيحة، فأبدلنا بها ما صحّ وسُمِعَ عن العرب في هذا المقام، مثل قولهم: «خصيصاً» والصواب «خصوصاً»، و«جاؤوا سوياً» والصواب «جاؤوا معاً» لأن «سوياً» تعني الاستواء والعدل (كقولك: قسمت المال بينهم بالسوية)، و«المجوهرات»، وهو جمع غريب لم يُسمِع، والصحيح «الجواهر»، ومثل ذلك كثير.

وفي أسماء الشهور اخترنا كتابة الاسم العربي للشهر متبوعاً بالاسم الأعجمي بين قوسين، لأن من بلدان العرب (مع الأسف) من لا يعرف أهلها أسماء الشهور العربية، كأهل مصر وأكثر بلاد الجزيرة العربية وبلدان المغرب العربي كلها. فنكتبها بهذه الطريقة: حزيران (يونيو)، تشرين الثاني (نوفمبر)، إلخ.

وفي الإملاء: كتبنا «إذن» بالنون مطلقاً، عملت أو لم تعمل، وهو مذهب الأكثرين من أهل اللغة، وكان المبرّد يقول: "أشتهي أن أكوي يد من يكتب إذن بالألف، لأنها مثل أن ولن".

وفي بعض الألفاظ التي يجوز فيها الوصل والفصل (مثل: قلّ ما) اخترنا الوصل مطلقاً فكتبناها: «قلّما» أسوةً بأمثالها، فقد اتفقوا على أن يكتبوا بالوصل «مما» (من ما) و«عما» (عن ما) و«إلا» (إن لا)، ومثلها: «إنّما» و«حيثما» و«كيفما»، إلخ.

واخترنا في لفظ «مئة» كتابتها من غير ألف، وهو رأيٌ لكثير من العلماء نقله السيوطي في «همع الهوامع» واعتمده عبد الغني الدقر في «معجم قواعد اللغة العربية»، قال: «وهو أقرب إلى الصواب». وفي عدد المئات (كثلاثمئة وخمسمئة، الخ) اخترنا كتابتها متصلةً غير منفصلة (لا كما يفعل بعضهم فيكتبونها: ثلاث مئة وخمس مئة، إلخ).

وحرصنا -في الطبع- على أن تُثبَّت همزات القطع وتُحذَف همزات الوصل، وهو الصحيح في الكتابة. وحرصنا على عدم الوقوع في الخطأ الذي يقع فيه كثيرٌ من الطابعين إذ يخلطون بين الألف المقصورة والياء المتطرفة في آخر الكلمة فينقطون الاثنتين أو يجردونهما كليهما من النقط، ومثل ذلك بالنسبة للتاء المربوطة والهاء المتطرفة. وحرصنا -أيضاً- على إثبات تنوين الفتح مطلقاً، وأثبتنا تنوين الضم والكسر في كل حالة خشينا فيها الالتباس.

وكذلك أثبتنا علامات الشَّكل الأصلية (الفتحة والضمة والكسرة والسكون) في كل حالة يُخشى فيها الالتباس، كالتفريق بين الفعل المبني للمجهول والمبني للمعلوم، وبين فعلي المضارع والأمر، والمثنى وجمع المذكر السالم في حالي النصب والجر، وغير ذلك. وحرصنا على إثبات الشدَّة -خصوصاً- في غير المواضع المدركة سليقةً، إذ هي دلالة على حرف محذوف.

أما علامات الترقيم (من نقطة وفاصلة وعلامة استفهام وغيرها)، فقد أوليناها كل عناية ممكنة، فهي -كما سمّاها بعض الأدباء- «علاماتٌ للتفهم»، بها يتم المعنى ويَصِحُّ المقصود.

وأتبعنا في تحديد العلامات ومواضعها الأصول التي اعتمدها أهل البحث واللغة، وعلى رأسهم العلامة أحمد زكي باشا في كتابه القيم «التقييم وعلاماته في اللغة العربية» مع بعض التصرف بما يوافق الأصول الحديثة المتبعة في عالم النشر في هذا العصر.

وأخيراً، نظرنا في كتابة الحروف الأجنبية التي ليس لأصواتها مقابل في لغتنا العربية، فوجدنا القوم قد اختلفوا فيها اختلافاً كبيراً.

فأما الباء الشديدة (P) فقد كتبوها بـاء بثلاث نقاط، فاعتمدنا لها الباء العادية، إذ ليس من المتيسر في الصف والطباعة توفير باء مثلثة، كما أن هذا الرسم غير متفق عليه ولا هو معتمد من جهة علمية ذات شأن كمجمع اللغة العربية. وكذلك فعلنا في الحرف (V) فكتبناه فاء عادية بنقطة واحدة.

أما الحرف الذي أثار أكبر اضطراب فهو الحرف (G) الذي يسمونه «جيماً مصرية». فلأجل نطق أهل مصر الجيم بهذا الصوت اعتمد له كثيرون صورة الجيم، ولكن لو تأملت مخرج هذا الحرف ومخرج الجيم لوجدتهما متباعدين تباعداً بيناً، ولوجدت أن ما يقاربه في لغتنا مخرجاً (في النطق) هي الغين والقاف والكاف. وقد كان هذا الصوت يُكتب -فيما نُقل قديماً عن الفارسية- كافاً فوقها خط، وهي صورة لم يُتفق عليها فماتت واندثرت. وأهل الخليج يكتبون -اليوم- هذا الصوت قافاً، ويكتبه آخرون غيناً، وهو ما اخترناه لما وجدنا من قوة الدليل عليه. وانظر كيف كتبوا أكثر ما عربوا من أسماء البلدان كذلك فقالوا: «البرتغال» و«غانا» و«السنغال» و«بلغاريا» و«غرينتش»... وأمثال ذلك كثير كثير.

وهكذا كتبنا اسم مؤلفة هذه القصص «أغاثا» خلافاً لما كان شائعاً من كتابتها بالجيم. واستثنينا من الكتابة بالعين فقط كلمة «إنكلترا» والنسبة إليها (إنكليز وإنكليزية) لشيوع كتابتها بالكاف بين المتعلمين وطلبة المدارس ولمناسبة المخرج، فأثبتناها بالكاف كما هي هنا.

أما أكثر ما يربك فهو كتابة الحروف الصوتية الطويلة في الأسماء الأجنبية. ففي العربية ثلاثة أصوات طويلة لا غير: الألف والواو والياء، أما في الإنكليزية فتوجد ثمانية أصوات طويلة: الألف المرقّعة (كما في: cat)، والألف المفخّمة (كما في: car)، والألف الممالة (كما في: care)، والواو المشبعة (كما في: boot)، والواو الممالة المرقّعة (كما في: bone)، والواو الممالة المفخّمة (كما في: orange)، والياء المشبعة (كما في: me)، والياء الممالة (كما في: urgent). وقد قربنا -في الرسم العربي- كل أنواع الألف فكتبناها ألفاً، وكل أنواع الواو فكتبناها واواً، ونوعى الياء فكتبناها ياءً، ما عدا الألف الممالة التي اجتهدنا في كتابتها ياء (كما في Hastings)، صاحب بوارو الشهير في كثير من الروايات، كتبناه هيسْتِنَغْز).

هذا ما اجتهدنا فيه وذهبنا إليه، آملين أن يكون اجتهدنا صحيحاً وأن نكون قد هُدينا فيه إلى الصواب، فيكون العمل الذي نقدمه إلى قرائنا سليماً صحيحاً معافى من العيوب. والله المستعان.

المحرّر

* * *

المؤلفة في سطور

تُعتبر أغانا كريستي أعظمَ مؤلفة في التاريخ من حيث انتشار كتبها وعدد ما بيع منها من نسخ، وهي -بلا جدال- أشهر مَنْ كتب قصص الجريمة في القرن العشرين وفي سائر العصور. وقد تُرجمت رواياتها إلى معظم اللغات الحية، وقارب عدد ما طُبِع منها بليونَي (ألفي مليون) نسخة!

وُلدت أغانا كريستي في بلدة توركي بجنوب إنكلترا عام ١٨٩٠، وتوفيت عام ١٩٧٦ وعمرها نحو خمسة وثمانين عاماً. لم تذهب أغانا قطّ إلى المدرسة، بل تلقت تعليمها في البيت على يد أمها التي دفعتها إلى الكتابة وشجعتها عليها في وقت مبكر من حياتها، كما تخبرنا هي نفسها، فحينما كانت نزيلة فراشها تتعافى من مرضٍ ألمّ بها سألتها أمها: "لماذا لا تكتبين قصة؟". أجابت فوراً: "لا أظن أنني قادرة على ذلك"، فقالت أمها: "بلى، تستطيعين؛ جربي وسترين".

عندئذ كتبت أغانا كريستي أول رواية لها وعنوانها «ثلوج على الصحراء»، وهي رواية رفضها الناشرون فلم تُنشر قط. أما الرواية الثانية «القضية الغامضة في ستايلز» (التي ظهر فيها بوارو

للمرة الأولى) فقد أدخلتها إلى عالم الكتابة الرحيب، وذلك حين نُشرت -أخيراً- بعدما رفضها ستة من الناشرين، وبعدها حبسها الناشر السابع في أدراجه لمدة ثمانية عشر شهراً متردداً في نشرها!

* * *

عاشت أغانا طفولة سعيدة، إذ كانت صغرى ثلاثة أولاد لأبٍ مرحٍ مُحِبٍّ للحياة وأم ذكية تحب الطموح، وقد ظلت -حتى آخر حياتها- تذكر بيتها الذي وُلدت ونشأت فيه بكثير من الشوق والحنين. ولكن هذه السعادة لم تَدُم، فقد توفي والدها وهي في الحادية عشرة مخلفاً لأسرته مشكلات مادية لم تلبث أن أدخلت أغانا في عالم المسؤولية في ظروف صعبة.

وحينما قامت الحرب العالمية الأولى تطوعت أغانا للعمل في أحد المستشفيات ممرضةً تساعد جرحى الحرب. وفي هذا المستشفى عملت بتحضير الأدوية وتركيبها وتعرفت إلى السموم المختلفة، وهو الأمر الذي كانت له فائدة عظيمة في كتاباتها اللاحقة عن الجرائم.

وفي تلك الفترة، في عام ١٩١٤، تزوجت طياراً شاباً اسمه آرشيالد كريستي، ولكنها انفصلت عنه عام ١٩٢٨ بعد موت والدتها بقليل. ولم تلبث أن تزوجت مرة أخرى عام ١٩٣٠ عالم الآثار الشهير السير ماكس مألوان، وهو الذي أمضت برفقته سنوات من عمرها في المشرق (في العراق وسوريا ومصر) فجاءت أحداث عدد من رواياتها لتقع في هذه البلاد، مثل: «موت فوق النيل» و«لقاء في بغداد» و«جريمة في بلاد الرافدين» و«موعد مع

الموت». وحينما سافرت على متن قطار الشرق السريع خرجت
بواحدة من أشهر رواياتها: «جريمة في قطار الشرق».

تحدثت أغانا كريستي عن نفسها فقالت: «لو سُئلت عن
ميولي لأجبت بأنني أحب كل طعام جيد، وأكره الكحول وكل
ما يدخل في صنعه الكحول. حاولت التدخين فوجدته بغيضاً ولم
أجد ما يغريني بالتحقق به. أحب الأزهار، وأعشق البحر، وأهوى
السفر ولا سيما في بلدان الشرق الأدنى. أحب المسرح وأكره
الأفلام الناطقة إذ أعجز عن متابعتها، وأكره الإذاعة وضوضاءها،
وأبغض المدن وازدحامها».

أما رواياتها فتتميز بدقة حَبْكتها وترابط أحداثها ومنطقية
تسلسلها، تغور فيها في أعماق النفوس البشرية محللةً كوامنها
باحثةً عن دوافعها بعبقريّة فذة وبصيرة نافذة. وهي قصص «نظيفة»
بريئة من إثارة المشاعر والغرائز وليس فيها ما يُخجّل أو يسوء.
وقد حرصت على أن تقول لنا فيها دائماً: «لا بدّ أن ينتصر الخير»،
و«الجريمة لا تفيد».

* * *

أشهر أبطالها هيركيول (هرقل) بوارو، والآنسة ماربل. أما
بوارو فقد «وُلد» عام ١٩٢٠ في «قضية ستايلز الغامضة»، ثم استمرّ
بالظهور في روايات لاحقة لمدة خمس وخمسين سنة. وهو محقق
بلجيكي وشرطي متقاعد أهمّ ما يميّزه ذكائه الخارق (النتائج عن
«الخلايا الرمادية الصغيرة» في دماغه!) وشارباه العظيمان اللذان
ليس لهما مثل في بريطانيا! وغالباً ما يرافقه في تحقيقاته صاحبه

الشهير، الضابط المتقاعد، الكابتن هيسْتِنْغْز، الذي يتميز بطبيعته الطيبة وذكائه المتواضع وحبه الكبير لبوارو.

وأما الأنسة ماربل فهي عانس عجوز ذات ذكاء بالغ وإدراك عجيب، وتتمتع بقدرة فذة على الملاحظة والتحليل وفهم عميق للنفس البشرية بحيث تكشف أسرار الجرائم مستفيدةً من شبكة واسعة من الأصدقاء والمعارف والعلاقات الاجتماعية الناجحة.

* * *

كتبت أغاثا كريستي من روايات وقصص الجريمة سبعا وستين رواية طويلة وعشرات من القصص القصيرة التي نُشرت في ثلاث عشرة مجموعة، وبذلك يكون عدد ما نُشر لها من الأعمال البوليسية ثمانين كتاباً. كما كتبت ستَّ روايات طويلة رومنسية باسم مستعار هو «ماري ويستماكوت»، وست عشرة مسرحية أشهرها «مصيصة الفئران» التي تُعتبر أطول المسرحيات عرضاً في التاريخ، إذ ما زالت تُعرض في لندن (دون انقطاع تقريباً) منذ عام ١٩٥٢.

أما سيرة حياتها التي كتبها قبيل وفاتها فقد نُشرت بعد موتها بعام واحد، وسوف نقدّم ترجمتها إلى قرائنا (مع كتاب ذكرياتها الآخر «أخبريني كيف تعيشين» الذي نشرته عام ١٩٤٦ وسردت فيه ذكرياتها عن رحلاتها مع زوجها) حيث ستكون هذه هي المرة الأولى التي يُترجم فيها هذان الكتابان إلى اللغة العربية.

* * *

السُّتَارَة

قضية بوارو الأخيرة

الفصل الأول

من متّاً لم يشعر بألم مفاجئ عندما يحيا مرة أخرى تجربة قديمة أو يشعر بشعور قديم؟ لقد حدث لي هذا من قبل. لماذا تؤثر هذه الكلمات في المرء بعمق؟ كان ذلك هو السؤال الذي سألته لنفسي وأنا جالس في القطار أراقب أراضي إيسكس المنبسطة في الخارج. كم مضى من الوقت منذ أن رحلت رحلة مماثلة لهذه الرحلة داخل نفسي؟ لقد شعرت (وهذا شعور سخيف) بأن الحياة انتهت بالنسبة لي. لقد جُرحت في الحرب، تلك الحرب التي ستبقى دائماً بالنسبة لي هي الحرب، تلك الحرب التي تبعثها حرب ثانية أكثر تهوراً.

في عام ١٩١٦ بدا لأرثر هيستنغز الشاب أنه كبر ونضج. لم أدرك الأمر جيداً، فبالنسبة لي لم تكن الحياة إلا في بدايتها. كنت أقوم بهذه الرحلة (على الرغم من أنني لم أكن أعلم) لأقابل الرجل الذي كان تأثيره عليّ سيغيّر حياتي ويعيد تشكيلها. في الواقع كنت سأذهب لأقيم مع صديقي القديم جون كافيندش الذي تملك أمه (التي كانت قد تزوّجت حديثاً) بيتاً ريفياً يُدعى «ستايلز». كان الأمر لمّ شمل مسلياً لأصدقاء قدامى... هذا كل ما كنت أعتقد، ولم أُنبا بأنني سأقحم في جريمة غامضة.

وكان «ستايلز» هو المكان الذي التقيت فيه مرة أخرى بذلك الرجل الضئيل الغريب هيركيول بوارو، والذي قابلته لأول مرة في بلجيكا، وأذكر جيداً دهشتي الشديدة عندما رأيته يمشي متميلاً في شارع القرية بشاربه الكبير.

هيركيول بوارو! منذ تلك الأيام أصبح هو صديقي العزيز، وقد أعاد تأثيره صياغة حياتي. وخلال رفقته بحثنا عن جرائم جديدة، والتقيت بزوجتي سندريلا، تلك الفتاة الرقيقة التي يحلم بها أي رجل. إنها ترقد الآن تحت التراب الأرجنتيني، فقد ماتت كما كانت تتمنى، دون أن تعاني طويلاً أو يُضعفها التقدم بالعمر، ولكنها خلفت وراءها رجلاً وحيداً تعساً.

آه لو كان بإمكانني الرجوع إلى الوراء لأعيش حياتي مرة أخرى! لو أن هذا اليوم كان ذلك اليوم من عام ١٩١٦ عندما سافرت إلى «ستايلز» لأول مرة!

ما التغيرات التي حصلت منذ ذلك الوقت؟ هل اختلفت الوجوه؟ لقد باعت عائلة كافيندش قصر ستايلز ومات جون كافيندش. ولكن زوجته ماري، تلك المخلوقة المدهشة الغامضة، لا تزال حية وتعيش في ديفونشاير، أما لورنس فيعيش مع زوجته وأولاده في جنوب أفريقيا. تعيّرات، تعيّرات في كل مكان، ولكن بقي شيء واحد كما هو: هيركيول بوارو، على الرغم من غرابة ذلك.

كنت ذاهباً إلى «ستايلز» لمقابلة هيركيول بوارو. لقد دُهِشت عندما استلمت رسالته، وكان عنوانها: «قصر ستايلز، ستايلز، إسكس». فأنا لم أرَ صديقي منذ نحو عام، وفي آخر مرة رأيته فيها

أصبت بالصدمة والحزن، فقد رأيت فيه رجلاً عجوزاً أقعده التهاب المفاصل. وقد ذهب إلى مصر وهو يأمل بأن تتحسن صحته، ولكنه عاد (كما أخبرني في رسالته) وقد ساءت صحته. وعلى الرغم من ذلك فقد بدا من كتابته بأنه مرح، فقد كتب لي في رسالته:

ألا يسرّك أن تزور العنوان الذي أكتب لك منه يا صديقي؟ إنه عنوان يشير الذكريات القديمة، أليس كذلك؟ نعم، أنا هنا في «ستايلز»، وقُل ما تشاء. لقد أصبح الآن نُزلاً يديره كولونيل بريطاني عجوز محافظ جداً، ومن المعروف أن زوجته هي التي تجعل المكان مُربحاً، فهي مديرة جيدة، ولكن لسانها سليط يعاني الكولونيل المسكين بسببه كثيراً، ولو كنت مكانه لقتلتها بالبلطة!

لقد رأيت إعلاناً في الصحيفة، فقادني فضولي إلى العودة مرة أخرى إلى المكان الذي كان منزلي الأول في هذا البلد. كم يستمتع المرء بذكرات الماضي وهو في سني!

وقد وجدت هنا رجلاً، باروناً، وهو صديق للرجل الذي تعمل معه ابنتك. وفجأة أدركتُ الخطة، أدركت أنه يريد إقناع عائلة فرانكلين بالقدوم إلى هنا هذا الصيف، وبدوري سأقنعك أنا بالمجيء. سنكون كلنا معاً كعائلة واحدة، وسوف ينال هذا استحسان الجميع، فتعال بسرعة يا عزيزي هيستنغز، بسرعة كبيرة.

لقد حجزت لك غرفة بحمام خاص. ستايلز القديم
- كما ستري - جرى تحديثه، وقد ناقشتُ السيدة
لاتريل كثيراً بخصوص الأجر حتى توصلتُ إلى
اتفاق، والأجر رخيص جداً بالفعل.

عائلة فرانكلين وابنتك الساحرة جوديث يقيمون هنا
منذ أيام، وقد رتبت كل شيء، فلا تحاول تلفيق
الأعداء. إلى الملتقى قريباً.

صديقك دائماً: هيركيول بوارو.



كان الأمر مغريباً جداً، وليتُّ رغبة صديقي دون اعتراض.
لم يكن شيء يقيدني، فأنا لست مستقراً في مكان ما، أمّا أولادي
فأحدهم في البحرية، والآخر متزوج ويدير مزرعة في الأرجنتين،
وابنتي غريس تزوجت جندياً وتقيم الآن في الهند. أما ابنتي جوديث
فقد كانت دائماً ابنتي المفضّلة على الرغم من أنني لم أفهمها قط!
كانت طفلة غريبة كئيبة تميل إلى الكتمان، تحتفظ بأمورها لنفسها
ولا تستشير أحداً، الأمر الذي كان يزعجني ويجعلني أشعر بالإهانة.
وكانت زوجتي أكثر تفهماً وكانت تؤكّد لي أن هذا لا يعني أن جوديث
لا تثق بي، بل هو أمر خارج عن إرادتها، ولكنها كانت تقلق بشأنها
مثلي تماماً.

كانت تقول إن مشاعر جوديث عميقة جداً ومركّزة جداً، وإن
طبيعتها المتحفظة تحرمها من أيّ صمام أمان. كانت تمرّ بنوبات
غريبة من الصمت الكئيب وشعور قوي بالانتماء. وكانت أذكى أفراد

العائلة، لذلك وافقنا بسرور على رغبتها في الالتحاق بالجامعة. وقد نالت شهادة جامعية في العلوم قبل عام، ثم عملت سكرتيرةً لطبيب كان يُجري أبحاثاً تتعلق بالأمراض الاستوائية، أما زوجته فكانت مقعدةً نوعاً ما. وكنت أتساءل أحياناً عمّا إذا كان انهماك جوديث في عملها وإخلاصها لمديرها علامةً على أنها قد أحبتّه، ولكنني تأكدت أن أساس علاقتها هو أساس عملي فقط. وأعتقدُ أن جوديث تحبني ولكن طبيعتها لا تسمح لها بالتعبير عن مشاعرها، وكثيراً ما كانت تغضب وتتذمر ممّا تسميه أفكارى الانفعالية القديمة، وأعترف بأنني كنت أشعر بالعصبية تجاه ابنتي.

عند هذه النقطة قطع تأملاتي صوتُ القطار وهو يقترب من محطة ستايلز سينت ميري. على الأقل لم تتغير هذه المحطة، بل غفل عنها الزمان فبقيت جاثمة وسط الحقول دون أيّ سبب للوجود. لكن حينما سارت سيارة الأجرة عبر القرية لاحظت الاختلاف الذي أحدثه مرور الزمن، فقد تغيّرت ستايلز سينت ميري كلياً عمّا كنت أعرفها، فجَدَدْتُ فيها محطاتٌ وقود ودار عرض وصفوف من منازل البلدية.

ثم انعطفنا نحو بوابة «ستايلز»، وهنا ابتعدنا مرة أخرى عن المدينة الجديدة. كان المكان لا يزال كما أذكره، لكن الممر كان مهملاً وقد نمت فيه الأعشابُ فوق الحصى. وانعطفنا حول إحدى الزوايا، وعندها لاح لنا المنزل. كان ما يزال كما كان من حيث المظهر الخارجي، وبدا أنه يحتاج إلى إعادة طلاء.

وكما حدث عندما أتيت إلى هنا في المرة الأولى، رأيت امرأة منحنية على أحد أحواض الحديقة. وكاد قلبي يتوقف عن الخفقان

من فرط الدهشة، ثم نهضت وتوجهت نحوِي فضحكتُ من نفسي، إذ كان بينها وبين إيفلين هاورد الضخمة فرق كبير لا يمكن تصوّره. كانت أمامي امرأة عجوز ضئيلة الحجم ذات شعر غزير أبيض مجعد وخدود زهرية وزوجين من الأعيُن الزرقاء الفاتحة الباردة، التي كانت تختلف تماماً عن لطفها وحسن تصرفها اللذين كانا مبالغاً فيهما بالنسبة لي.

قالت بودّ وترحاب: أظن أنك الكابتن هيستنغز، أليس كذلك؟ يداي متسختان فلا أستطيع مصافحتك. نحن مسرورون لرؤيتك، وقد سمعنا عنك الكثير. يجب أن أعرفك بنفسِي أولاً: أنا السيدة لاتريل، وقد اشتريت أنا وزوجي هذا المكان في نوبة جنون، ونحن نحاول الاعتناء به ودفعه إلى النجاح. لم أحلم يوماً بأنني سأصبح مالكة فندق، ولكنني أحذرك يا كابتن هيستنغز: أنا امرأة عمليّة وأقوم بكل ما أستطيعه.

ضحكنا معاً كما لو كانت نكتة جيّدة، ولكن بدا لي أن ما قالته السيدة لاتريل حقيقةٌ أكيدة، فخلف هذا المظهر الخادع من سحر السيدة العجوز استطعت أن ألحظ الصلابة والقسوة. وعلى الرغم من أن السيدة لاتريل تميل إلى استعمال اللهجة الأيرلندية إلا أنها لم تكن من أصل أيرلندي، بل كان هذا مجرد تكلف منها.

سألتُ عن صديقي فقالت: آه! السيد بوارو المسكين. الطريقة التي كان يترقب بها حضورك تُذيب الحجر! أشعر بالأسف الشديد نحوه وهو يعاني بهذه الطريقة.

سرنا باتجاه المنزل في حين كانت تنزع قفازات العمل، وتابعت

قائلة: وابتكت الجميلة أيضاً... إنها فتاة لطيفة ونحن جميعاً معجبون بها جداً، ولكنني تقليدية كما تعلم، وممّا أراه محزناً أن فتاة مثلها تقضي وقتها في تشريح الأرنب والجلوس خلف المجهر طول اليوم! مثل هذه الأمور يجب أن تُترك للرجال في رأيي، أما فتاة شابة مثلها فينبغي أن تستمتع بمباهج الحياة.

- أين جوديث؟ أهي قريبة؟

بدا الامتعاض على وجه السيدة لاتريل وقالت: آه، يا للفتاة المسكينة! إنها مسجونة في ذلك المعمل في نهاية الحديقة. لقد استأجره الدكتور فرانكلين مني وهو الذي قام بإعداده وترتيبه وتجهيزه بأفصاص فيها حيوانات للتجارب. يا للمخلوقات المسكينة، فتران وأرناب! لا أظن أنني أحب هذا العلم يا كابتن هيستنغز... آه، هذا هو زوجي.

كان الكولونيل لاتريل يقترب ماشياً من وراء ركن المنزل. كان رجلاً طويلاً نحيلاً ذا وجه شاحب وعينين متوسطتي الزرقة، وكان من عاداته شدّ شاربيه الأبيضين بحيرة، وبدا سلوكه غامضاً ويميل إلى العصبية.

قالت زوجته: جورج، لقد وصل الكابتن هيستنغز.

صافحني الكولونيل لاتريل قائلاً: لقد وصلت في قطار الساعة الخامسة وأربعين دقيقة، أليس كذلك؟

قالت السيدة لاتريل بحدة: وبمّ تظن أنه وصل؟ وماذا يعني لك الأمر على أي حال؟ اصحبه إلى غرفته يا جورج، ولعله يريد

الذهاب إلى السيد بوارو من فوره أو لعله يفضل تناول الشاي أولاً.

أكدتُ لهما أنني لا أريد الشاي بل أفضل الذهاب للسلام على صديقي، فقال الكولونيل لاتريل: حسناً، اتبعني. أظن أنهم أخذوا أغراضك إلى غرفتك، أليس كذلك يا ديزي؟

قالت السيدة لاتريل بحدة: هذا من اختصاصك يا جورج. كنت أعنتي بأمور الحديقة ولا أستطيع الاعتناء بكل شيء هنا.

- نعم، نعم، بالطبع؛ سوف أهتم أنا بالأمر يا عزيزتي.

وتبعته إلى الدرجات الأمامية، وعلى عتبة الباب صادفنا رجلٌ رمادي الشعر ممتليء الجسم ذو وجه طفولي متحمس. كان يجري مسرعاً وهو يعرج ويده منظار، وقال وقد تلعثم قليلاً: ثمة زوجان من الطيور بنا عشهما عند شجرة الجميز.

وعندما كنا ندخل القاعة قال لاتريل: هذا نورتون... إنه فتى لطيف مغرم بالطيور.

وفي القاعة نفسها رأيت رجلاً ضخماً يقف قرب الطاولة، وبدا واضحاً أنه فرغ من التحدث بالهاتف، ثم نظر نحونا قائلاً: أودّ لو أشق جميع المتعهدين والبنائين... لا يمكنهم عمل شيء بالشكل الصحيح، قاتلهم الله!

بدا قوله مضحكاً جداً ومحزناً جداً بحيث ضحكنا معاً، وشعرت بالانجذاب نحو ذلك الرجل على الفور. كان وسيماً وقد تجاوز الخمسين، وكان وجهه شديد السمرة بفعل الشمس، وبدا وكأنه قد عاش حياته في الخارج وأنه من تلك النوعية من الرجال الذين باتوا

نادرين بمرور الأيام؛ رجل إنكليزي من المدرسة القديمة، مستقيم يحب حياة الترحال، ويبدو أنه رجل قيادي.

ولم أُصَبْ بالدهشة عندما قدّمه لي الكولونيل لاتريل على أنه السير ويليام بويد كارنغتون. كان -على حد علمي- محافظاً في إحدى محافظات الهند حيث حقق نجاحاً مميّزاً، وكان معروفاً بأنه رام من الدرجة الأولى وصياد محترف. وفكرت بحزن بأنه من تلك النوعية من الرجال التي يبدو أنها لم تعد تتكاثر في هذه الأيام الفاسدة!

قال السيد ويليام: آه، أنا سعيد لأنني استطعت مقابلة هذه الشخصية الهامة... صديقي هيستنغز.

قالها ثم ضحك وأكمل يقول: ذلك الرجل البلجيكي يتحدث عنك كثيراً كما تعلم، وبالطبع ابتك هنا أيضاً، وهي فتاة طيبة.

فقلت مبتسماً: لا أظن أن جوديث تتحدث عني كثيراً.

- إنها فتاة عصرية، والفتاة في هذه الأيام تبدو مُحَرَجَة من الحاجة إلى التعريف بأبيها أو بأمها!

فقلت: الآباء مصدر إحراج فعلاً.

فضحك قائلاً: حسناً، أنا لا أعاني بهذه الطريقة لسوء الحظ، فليس لي أبناء. ابتك جوديث فتاة جميلة وذات مستوى رفيع من الثقافة، وأنا أجد ذلك مدعاة للفخر.

ثم التقط سماعة الهاتف مرة أخرى وقال: أرجو أن لا تمنع إذا أرهقت عامل السترال يا لاتريل؛ أنا لست بالرجل الصبور.

- لا بأس ، هذا سيفيدهم .

ثم قادني لاتريل إلى الطابق الأعلى وأخذني عبر الجناح الأيسر من المنزل إلى باب في نهاية الجناح ، فأدركت أن بوارو قد اختار لي الغرفة ذاتها التي شغلتها في الماضي . كانت هناك بعض التغيرات ، وبينما أنا أسير عبر الممر كانت بعض الأبواب مفتوحة ، فلاحظت أن غرف النوم القديمة قد قُسمت فصارت عدّة غرف صغيرة . أمّا غرفتي التي لم تكن كبيرة فلم يتغير فيها شيء ، باستثناء تركيب أنابيب المياه الساخنة والباردة ، وقد فُصل جزء منها لاستخدامه حمّاماً صغيراً . ورأيت أن الغرفة قد فُرشت بطريقة عصرية رخيصة مما أثار خيبة أُملي ، إذ كنت أفضل نمطاً ينسجم مع النمط المعماري للمنزل .

كانت حقائبي في غرفتي ، وأوضح لي الكولونيل لاتريل أن غرفة بوارو هي الغرفة المقابلة ، وكان على وشك اصطحابي إلى هناك عندما ترددت من أسفل القاعة صرخة حادة تنادي : جورج !

جفل لاتريل كحصان عصبي ووضع يده على فمه وقال لي بسرعة وارتابك : أنا... أنا... هل كل شيء مناسب لك ؟ استدعنا عندما تريد أمراً ما .

- جورج !

- أنا قادم يا عزيزتي ، أنا قادم .

وأسرع عبر الممر ، ووقفت برهة أتبعه بنظري ، ثم عبرت الممر وقد بدأت دقات قلبي بالتسارع قليلاً ، وطرقت باب غرفة بوارو .

* * *

الفصل الثاني

من وجهة نظري لا يوجد ما يشير الحزن أكثر من رؤية شخص
تغيّر شكله كلياً بمرور الزمن. يا لصديقي المسكين! لقد وصفته
لكم أكثر من مرة، والآن سأنقل لكم الاختلاف: لقد أقعده التهاب
المفاصل، ولذلك فهو يجرّ نفسه على كرسيّ متحرك. جسده الذي
كان ممتلئاً ضَعْفَ فبات رجلاً ضئيلاً نحيلاً، وصار وجهه ممتلئاً
بالخطوط والتجاعيد. صحيح أن شاربه وشعره لا يزالان شديدي
السواد، ولكنه ارتكب بذلك خطأ جسيماً في الواقع (رغم أنني لن
أؤذي مشاعره بإخباره) فأحياناً تظهر صبغة الشعر بشكل واضح. لقد
مر عليّ زمان دُهِشت فيه عندما علمت أن سواد شعر بوارو مصدره
زجاجة صباغ، أما الآن فقد ظهر زيفه أكثر حتى لقد بدا وكأنه يضع
شعراً مستعاراً ويزيّن شفته العليا بالشارب ليسلّي الأطفال!

عيناه فقط بقيتا كما كانتا في السابق، متلاّثتين برّاقتين، وفي
تلك اللحظة رأيتهما تشعان بعاطفة صادقة لا شك فيها. هتف بي
حالماً رأني: صديقي هيستنغز، صديقي هيستنغز!

وكما كان يفعل دائماً عانقني بحنان، وأخذ ينظر إليّ وقد اتكأ
إلى الخلف ورأسه يميل جانباً ثم قال: عزيزي هيستنغز، ما زلت كما

كنت؛ الظهر المستقيم والأكتاف العريضة والشعر الرمادي... أتعلم يا صديقي؟ لقد هرمتَ بشكل جيّد. ألا تزال الفتيات يُعجبن بك؟

فاحتججت قائلاً: بوارو، هل يجب...؟

- ولكنني أوكد لك أنه امتحان يا صديقي، بل هو الامتحان الحقيقي، فعندما تبدأ الفتيات بالتحدث إليك بلطف ورقة فاعلم أنها النهاية، فهنّ يقلن لأنفسهن: "يا للرجل المسكين! علينا أن نُحسن معاملته". من المخيف أن تكون كذلك! ولكنك ما زلت شاباً يا هيسستنغز، الفرصة لا تزال أمامك، نعم، ابرم شاربك وادفع بكتفك إلى الأمام. أنا أرى الأمر كما أقول، وإلا فلن تبدو واثقاً من نفسك. انفجرتُ ضاحكاً وأنا أقول: لا مثيل لك يا بوارو! ولكن كيف حالك أنت؟

قال بحزن: حُطام! لا أستطيع المشي، فأنا مُقعد كما ترى. ولكن -والحمد لله- ما زلت قادراً على إطعام نفسي، أما سوى ذلك فيجب أن أعامل كطفل يحتاج للمساعدة في كل أمر، يجب وضعه في الفراش بعد أن يكون قد اغتسل وارتدى ثياب النوم. هذه هي النهاية، وليس هذا بالأمر المسلي، ولكن الحمد لله، فرغم كل هذا التداعي الخارجي فإن الجوهر سليم.

- نعم، بالطبع، فأنت تملك أحسن قلب في العالم.

- قلبي؟ نعم، هذا ممكن، ولكنني لم أقصد القلب بكلامي، بل العقل هو ما عينته بالجوهر. عقلي ما يزال يعمل بصورة جيدة.

أدركت أن أيّ تدهور لم يُصب حالته العقلية على الأقل، ولا

سيِّما فيما يتعلق بالتواضع. سألتُه: هل تحب المكان هنا؟

رفع بوارو كتفيه قائلاً: بالتأكيد لا، ولكنه يفني بالغرض. الغرفة التي سكنت فيها عندما أتيت أول مرة كانت صغيرة، كما أنها لم تكن مفروشة بالشكل المناسب لي، فانتقلت إلى هذه الغرفة دون أي زيادة في الإيجار. أما الطعام فإنه طعام إنكليزي في أسوأ أحواله، فالبطاطا المسلوقة إمّا أن تكون جافّة أو تنفتّت بسهولة، أما الخضار فطعمها مثل الماء... ماء ثم ماء مرة أخرى! كما أنهم لا يستعملون البهارات والملح في الطعام أبداً.

قلت: يبدو الأمر مريعاً.

قال بوارو: "أنا لا أتذمر". ولكنه تابع التذمر قائلاً: وهناك أيضاً ما يدعونه بالتجديد، كالحمامات والصنابير في كل مكان. ولكن ماذا ينزل منها؟ ماء دافئ فقط يا صديقي... وفي معظم ساعات النهار، أما المناشف فإنها صغيرة وعددها قليل.

قلت باحتراس: يوجد الكثير مما يمكن أن يُقال بحق الأيام الخوالي.

تذكرت سحب البخار الذي كان يتدفق من حنفيات المياه الساخنة الموجودة في الحمام الوحيد في «ستايلز» في تلك الأيام، وتذكرت أيضاً المناشف الكبيرة والأواني النحاسية المتتابعة المملوءة بالماء الساخن التي كانت توجد في الأحواض القديمة.

قال بوارو مرة أخرى: على المرء أن لا يتذمر، فأنا مستعد للتضحية في سبيل هدف يستحق المعاناة.

خطرت ببالي فجأة فكرة معيّنة فقلت: بوارو، أنت لا تعاني من متاعب مالية، أليس كذلك؟ أنا أعلم أن الحرب أثرت على الاستثمار بشكل سيئ.

ولكن بوارو طمأنني قائلاً: لا، لا يا صديقي، أنا مرتاح مادياً، بل أنا ثريّ في الواقع. أنا لم آتِ إلى هذا المكان لأسباب اقتصادية.

قلت: هذا جيد. ثم تابعت: أظن أنني أفهم مشاعرك جيداً، فكلما تقدم العمر بالإنسان يميل أكثر وأكثر إلى العودة إلى الأيام الماضية وتذكرها ويحاول استعادة المشاعر القديمة. إن وجودي هنا يؤلمني بشكل ما، ولكنه -في الوقت ذاته- يعيد إلى ذاكرتي مئات الذكريات والأحاسيس التي نسيت أنني كنت أشعر بها، ويمكنني القول بأنك تشعر مثلي.

- بالطبع لا، أنا لا أشعر بمثل هذا أبداً.

قلت: لقد كانت أياماً جيدة.

- تستطيع التحدث عن نفسك يا هيستنغز، أما بالنسبة لي فقدومي إلى ستايلز سينت ميرري كان محزناً ومؤلماً، فقد كنت لاجئاً منيفاً من الوطن بعيداً عن البيت أعيش على الصدقات في بلد أجنبي! لا، لم تكن أياماً سعيدة، ولم أعلم -في ذلك الوقت- أن إنكلترا ستصبح وطني وأني سأجد السعادة فيها.

اعترفت له قائلاً: لقد نسيتُ ذلك.

- بالضبط، أنت تصف دائماً للآخرين المشاعر التي تشعر بها أنت: هيستنغز كان سعيداً، إذن فالجميع كانوا سعداء!

اعترضتُ ضاحكاً وقلت: لا، لا.

فتابع بوارو: على أي حال فهذا غير صحيح، فعندما تستذكر الماضي تترقق في عينيك الدموع وتقول: "آه! تلك الأيام السعيدة، كنت عندها شاباً يافعاً". ولكنك - في الواقع - لم تكن سعيداً كما تظن الآن يا صديقي؛ لقد كنت تعاني آنذاك من جروح وإصابات شديدة، وكنت قلقاً لأنك لم تُعد لائقاً للخدمة العسكرية، وكنت تعاني من اكتئاب شديد نتيجة إقامتك في نُزل للنقاهة... وكما أذكر فقد تعقدت الأمور أكثر نتيجة لوقوعك في حب امرأتين في وقت واحد.

ضحكت وقد احمرّ وجهي خجلاً وقلت: ما أقوى ذاكرتك يا بوارو!

- أنا أذكر الآن كيف كنت تتنهد بحزن كلما تذكرت حماقتك بخصوص هاتين المرأتين الجميلتين.

- لعلك تذكر ما قلت لي، قلت: كلتاهما ليستا لك، ولكن تشجع يا صديقي، فربما خرجنا معاً للصيد مرة أخرى، وعندها ربما...

ثم سكتُ، فقد ذهبتُ مرة أخرى للصيد مع بوارو في فرنسا، وهناك قابلت المرأة الوحيدة...

وبرفق ربّت صديقي على يدي وقال: أعلم يا هيستنغز، أعلم؛ ما يزال الجرح حديثاً، ولكن عليك نسيانه. لا تنظر ورائك، بل انظر إلى الأمام.

أومأت بأسى وقلت: أنظرُ إلى الأمام؟! وماذا هناك لأنظر إليه؟

- حسناً يا صديقي ، أماننا عمل يجب إنجازه .

- عمل ؟ أين ؟

- هنا .

حدّقت إليه فقال : لقد سألتني الآن عمّا أتى بي إلى هنا ، وربما لم تلاحظ أنني لم أُجِبْكَ . سأعطيك الجواب الآن : "أنا هنا للبحث عن قاتل".

حدقت إليه مدهوشاً ، ولوهلة ظننتُ أنه يهذي فقلت : أنت لا تعني ما تقول ، أليس كذلك ؟

- بالطبع أعني ما أقول ، ولماذا تظنني حثثتك على اللحاق بي ؟ لم يعد جسمي سليماً ، ولكن عقلي - كما قلت لك - لم يضعف بعد ، ومبدئي في هذه الحياة ما يزال كما كان دائماً . هل تذكر : «اجلس وفكّر» . هذا هو الأمر الذي لا أزال أستطيع صنعه ، بل هو الشيء الوحيد الذي أستطيع صنعه في الحقيقة . أما بالنسبة إلى الجانب الآخر الحيوي والفعال من القضية فسوف أشرك به صديقي العزيز هيستنغز .

كررتُ بلهفة : أتعني ما تقول ؟

- بالطبع ؛ سنذهب أنا وأنت إلى الصيد مرة أخرى يا هيستنغز .

احتجت لبضع دقائق لأدرك أن بوارو جادّ في الأمر ، ولم يكن لديّ من الأسباب ما يجعلني أشكّ في حكمه بالرغم من غرابة تعبيراته السابقة .

قال لي وابتسامة بسيطة تغطي وجهه : لقد اقتنعت أخيراً . تصورت في البداية أن عقلي قد بدأ يخفّ ، أليس كذلك ؟

فأنكرت بسرعة قائلاً: لا، لا، ولكن لا يبدو أن جريمة قد وقعت هنا.

- هل تظن ذلك؟

- بالطبع لم أر جميع الأشخاص بعد.

- من رأيت؟

- فقط السيد والسيدة لاتريل، ورجلاً يُدعى نورتون بدا لي شخصاً مسالماً، وأيضاً التقيت بالسير ويليام بويد كارنغتون، وقد أثار اهتمامي بشدة.

أوماً بوارو قائلاً: حسناً يا هيستنغز، عندما تتعرف إلى بقية السكان ستبدو لك أقوالي بعيدة الاحتمال كما هي الآن.

- مَنْ يوجد أيضاً؟

- عائلة فرانكلين المكونة من طيب وزوجته، وممرضة تعتنى بالسيدة فرانكلين، ثم ابنتك جوديث، ورجل يُدعى أليرتون فاتن النساء، ثم الأنسة كول، وهي فتاة في الثلاثينيات. يمكنني أن أقول لك إنهم قوم لطفاء.

- وأحدهم قاتل؟

- نعم، أحدهم قاتل.

- ولكن لماذا؟ كيف؟ لماذا تظن...؟

وجدتُ صعوبة في صياغة أسئلتني التي كان بعضها يتهاوى فوق بعض، فقال بوارو: اهدأ يا هيستنغز ولنبدأ من البداية. أرجو

أن تحضر لي تلك الحقيبة الصغيرة الموضوعه على المكتب. حسناً،
ها هو ذا المفتاح.

وبعد أن فتح الحقيبة أخرج منها مجموعة من الأوراق المطبوعة
وقصاصات الجرائد، ثم قال: يمكن أن تدرس هذه الأوراق في
وقت فراغك يا هيستنغز، ولا تهتم بقصاصات الجرائد كثيراً، فهي
روايات الصحف لعدد من المآسي، وهي غالباً غير دقيقة بل هي
إيحائية أحياناً. ولكي تأخذ فكرة عن تلك القضايا فأنا أقترح عليك
قراءة هذا الملخص الذي أعددتُه.

أخذت الملخص ورحت أقرؤه باهتمام:

القضية «أ»: قضية أ. إثرنغتون

ليونارد إثرنغتون: عادات غير حميدة، يتعاطى المخدرات
والمسكرات، شخصية غريبة وسادية، زوجته شابة جذابة
ليست سعيدة معه أبداً. مات نتيجة لتسمم غذائي، لم
يقتنع الطبيب الشرعي، وبعد التشريح تبين أن سبب الوفاة
سم الزرنينخ، وتبين وجود سم قاتل للأعشاب الضارة
في البيت ولكن كان قد تم طلبه منذ مدة طويلة. اعتُقلت
السيدة إثرنغتون ووُجِّهت إليها تهمة القتل، وكانت قد
تعرفت حديثاً إلى رجل يعمل في الخدمة المدنية سوف
يعود إلى الهند.

لم يظهر أيّ دليل على خيانة زوجية، ولكن كان بينهما
نوع من الانسجام العميق، ثم تبين أن ذلك الشاب
خطب وسوف يتزوج فتاة كان قد عرفها في إحدى

رحلاته. وقد ثارت الشكوك: هل تلقت السيدة إثرنغتون رسالة تخبرها بتلك الحقيقة بعد وفاة زوجها أو قبل الوفاة؟ هي تقول إنها تلقتها قبل وفاته، وكانت الأدلة ضدها ظرفية. لا يوجد متهم آخر واحتمال أن الأمر كان حادثاً غير وارد.

تعاطف الناس معها أثناء المحاكمة نتيجة لشخصية زوجها ولمعاملته السيئة لها، وكان تلخيص القاضي في صالحها مؤكداً على أن حكم المحلفين يجب أن يكون مبنياً على عدم الشك إطلاقاً، فتّمت تبرئة السيدة إثرنغتون. ولكن الرأي العام كان يؤكّد أنها مذنبه، وقد أصبحت حياتها - بعد ذلك - صعبة نتيجة لمعاملة الأصدقاء وغيرهم لها ببرود، ثم ماتت نتيجة تناولها جرعة مضاعفة من الحَبّات المنومة بعد سنتين من المحاكمة، وتقرر بعد التحقيق أن الوفاة كانت نتيجة حادثة.

القضية «ب»: السيدة شاربلين

عجوز عانس عاجزة صعبة المراس تعاني من الآلام كثيراً، تُعنى بها ابنة أختها فريدا كلاي، ماتت نتيجة تناولها جرعة مضاعفة من المورفين، واعترفت فريدا كلاي بالذنب قائلة إن معاناة خالتها كانت شديدة ولم تُعد تستطيع الاحتمال فأعطتها المورفين لتخفيف الألم. رأي الشرطة أن العمل كان متعمداً ولم يكن عن طريق الخطأ، ولكن الأدلة لم تكن كافية لاتهامها.

القضية «ج»: إدوارد ريغز

عامل زراعي، شكَّ بأن زوجته تخونه مع نزيلهم بن كريغ. عُثر على كريغ والسيدة ريغز مقتولين بالرصاص وتبيّن أن الطلقات مصدرها بندقية السيد ريغز. سلّم ريغز نفسه للشرطة وقال إنه يظن بأنه هو الذي ارتكب الجريمة، ولكنه لا يستطيع التذكّر. حُكم على ريغز بالإعدام ثم خُفّف الحكم بعد ذلك إلى الأشغال الشاقة المؤبّدة.

القضية «د»: ديريك برادلي

كان على علاقة بإحدى الفتيات، واكتشفت زوجته الأمر فهددته بالقتل. مات نتيجة وضع سيانيد البوتاسيوم في شرابه، وقُبض على السيدة برادلي وحوكمت بتهمة القتل، وانهارت عند الاستجواب فحُكم عليها وشُنقت.

القضية «هـ»: ماثيو ليتسفيلد

طاغية عجوز، عنده أربع بنات لا يسمح لهنّ بالتسليّة ولا يعطيهنّ نقوداً، وعندما كان عائداً إلى البيت هاجمه أحدهم في إحدى الأمسيات على عتبة بابه وقتله بضربة على رأسه. وأخيراً وبعد تحريات الشرطة تقدمت ابنته مرغريت إلى الشرطة واعترفت بقتل والدها، وقالت إنها ارتكبت جريمتها لكي تتمكن أخواتها من التمتع بحياتهنّ قبل فوات الأوان. وقد خُلف ليتسفيلد وراءه ثروة هائلة، واعتُبرت مرغريت مجنونة وأُدخلت إلى مصحح برودمور، لكنها ماتت بعد فترة قصيرة.

قرأت بدهشة واهتمام، وأخيراً وضعت الأوراق جانباً ونظرتُ
إلى بوارو متسائلاً فقال: حسناً يا صديقي، وماذا بعد؟

فقلتُ ببطء: أنا أتذكر قضية برادلي؛ لقد قرأت عنها في ذلك
الوقت. ولكن أخبرني: ما سبب كل هذا؟
- أخبرني أولاً برأيك فيما قرأت.

قلت حائراً: ما قدمته لي هو روايتك لخمس جرائم مختلفة
وقعت في أماكن مختلفة وضمن طبقات مختلفة من الناس وليس
بينها أي تشابه. إحداها كانت قضية غيرة، وأخرى كانت زوجة تَعَسَة
تحاول التخلص من زوجها، وثالثة كان الدافع إليها المال، ورابعة
يمكن القول إن هدفها غير أناني، لا سيما وأن القاتلة لم تحاول
التخلص من العقاب. أما الخامسة فقد كانت وحشية وفي الغالب
ارتكبت بتأثير الشراب.

وسكّتُ هنيهة ثم قلت: أنا لست واثقاً... هل يوجد أيّ عامل
مشارك بينها لم ألحظه؟

- لا، بل كنتَ دقيقاً في تلخيصك، ولكن النقطة الوحيدة
التي كان يجب أن تذكرها ولم تفعل هي أنه لم يوجد مجال للشك
في أيّ من القضايا.

- لا أظن أنني أفهمك.

- لقد حُكِم ببراءة السيدة إثرنغتون على سبيل المثال، ولكن
الجميع -دون استثناء- كانوا متأكدين أنها هي الجانية. ولم تُتَّهَم فريدا
كلاي بشكل واضح ولكن أحداً لم يفكر بأيّ حل آخر للجريمة.

وقد قرر ريغز أنه لا يتذكر أنه قتل زوجته وعشيقتها، ولكن لم يوجد أي احتمال بأن أحداً آخر قد ارتكبها. واعترفت مرغريت ليتسفيلد بجريمتها. فكما ترى يا هيستنغز: في كل قضية متهمٌ واحد فقط.

قطبتُ حاجبيّ وقلت: نعم، هذا صحيح، ولكنني لا أدري ما هي الاستنتاجات التي تخرج بها من هذه الحقيقة.

- آه، ولكن كما ترى فأنا توصلت إلى حقيقة لا تعلمها أنت بعد. لنفترض -يا هيستنغز- أنه في كل حالة من الحالات السابقة كان هناك طرف غريب، شخص غريب وُجد في الحالات كلها.

- ماذا تعني؟

قال بوارو ببطء: أريد أن أكون حذراً جداً فيما أقوله يا هيستنغز. دعني أوضح لك الأمر: هناك شخص ما سأسميه «س». من الواضح أن السيد «س» هذا لم يكن لديه دافع واضح في جميع الحالات السابقة لارتكاب جريمته، بل لقد اكتشفتُ أنه كان بعيداً مسافة مئتي ميل عندما ارتكبت الجريمة في إحدى القضايا. وعلى الرغم من ذلك فأنا أقول لك إن «س» كان على علاقة حميمة بإثرنغتون، وإنه عاش لبعض الوقت في نفس القرية التي عاش فيها ريغز، وإنه كان يعرف السيدة برادلي، وإن لديّ صورة له وهو يسير مع فريدا كلاي في الشارع، وإنه كان قريباً من المنزل عندما قُتل العجوز ماثيو ليتسفيلد... فماذا تقول بهذا الشأن؟

حدّقت إليه ثم قلت ببطء: نعم، هذا كثير بالفعل. قد تكون مصادفة في قضية أو اثنتين، أو حتى في ثلاث، أما في خمس قضايا؟ هذا كثير! إذن لا بد من وجود علاقة، مع أن الأمر يبدو مستبعداً بين

تلك الجرائم المختلفة.

- إذن فقد وصلت إلى ما وصلتُ أنا إليه؟

- تقصد أن «س» هو القاتل؟ نعم، هذا ما وصلت إليه.

- في هذه الحالة أنت على استعداد للمُضيّ معي قُدماً يا

هيستنغز. والآن دعني أخبرك: إن «س» يعيش في هذا المنزل.

- هنا؟! في «ستايلز»؟!!

- نعم، في «ستايلز». فما هو الاستنتاج المنطقي الذي نستنتجه

من هذا؟

كنت أعلم النتيجة عندما قلت: تابع... قلها.

قال بوارو بصوت خافت وقور: إن جريمة سترتكب هنا عمّا

قريب.

نشكرك على الاهتمام بمنشوراتنا، ونأمل
أن تكون الصفحات التي قرأتها قد وفّرت
لك قراءة ممتعة وعرفتك بالرواية.

يمكنك شراء نسخة ورقية من هذه الرواية
(وسواها من الروايات) من موقعنا مباشرة،
ونرجو عدم التردد بالاتصال بنا لو
احتجت لأي مساعدة.

الأجيال

www.al-ajyal.com